قلب راقصة

أمسيتُ أشكـو الضيـقَ والأينـا
مستغـرقاً في الفكـرِ والسـأمِ
فـمضيـتُ لا أدري إلـى أينـا
ومشيت حيث تجـرّني قـدمي

* * *

فـرأيتُ فيمـا أبصَـرَتْ عـيني
مَلهىً أعِـدَّ لـيبـهـجَ النـاسـا
يـجلون فيـه فـرائـدَ الحسن
ويبـاع فيـه الـلهـو أجنـاسـا

* * *

بـغـرائـب الألـوان مـزدهـر
وتـراه بـالأضـواء مـغـمـورَا
فقصـدتـه عَجِـلاً ولي بـصـرٌ
شبـه الفـراشـة يعشق النـورَا!

* * *

ودخلتهُ أجـتـازُ مـزدحـمـاً
بـالـخَلق أفـواجـاً وأفـواجـا
وأخـوضُ بحـراً بـات ملتـطمـاً
بـالنـاس أمـواجـاً وأمـواجـا

* * *

فقـدوا حجاهم حينمـا طـربـوا
ودووا دويَّ الـبحـرِ صـخّـابـا
فـإذا استقـرّوا لحـظةً صخبـوا
لا يملكـون الـنفسَ إعـجـابـا

* * *

متـوثبيـن يـميـلُ صفُـهـم
مـتـطلعَ الأعـنـاق يـتـقـدُ
ومـصـفـقيـن عَـلَتْ أكـفُـهـم
فـوّارةً فـكـأنـهـا الـزبـدُ!

* * *

لِمَ لا أثـورُ اليـومَ ثـورتـهم؟
لِمَ لا أجـرّبُ مـا يحـبـونـا؟
لِمَ لا أصيـح اليـومَ صيحتهم؟
لِمَ لا أضـجُّ كما يضجـونـا؟!

* * *

لِمَ لا تـذوق كؤوسَهم شفتي؟
إنَّ الحجـا سُمّي وتـدميـري
فـي ذمـةِ الشيـطانِ فلسـفتي
ورزانـتي ووقـارِ تـفكـيـري!

* * *

يـا قلبُ! ضقتَ وها هنـا سعـةٌ
ومـجـالٌ مـصـفـودٍ بـأغـلال
أتـقـول أعـمـارٌ مـضـيـعـة؟!
مـاذا صنعت بعمـرك الغـالي؟!

* * *

أنـظر تـرَ السيـقـان عـاريـةً
وترَ الخصـورَ ضـوامـراً تغـري
وتجـدْ عيـون اللهـو جـاريـة
فهنـا الحيـاة! وأنت لا تـدري

* * *

مَنْ هـذه الحسناءُ يـا عيني؟
الـسـحـرُ كـلّلها وظـلّلها
كـالـطيـرِ من غصنٍ إلى غصنِ
وثّـابـة، وثـب الفـؤاد لـهـا!

* * *

وتـراه حـسنـاً غـيـرَ كـذابِ
لا مـا يـزيـفـه لـك الضـوءُ
ويـزيـد فـتـنتَهـا بـاغـرابِ
حـزنٌ وَراءَ الحسن مخبـوءُ!

* * *

ثم اختفتْ والجمـعُ يـرقـبهـا
ويلحُّ: عـودي! ليس يـرحمهـا
هـي متـعـةٌ لـلحسِّ يـطلبـهـا
وأنـا بـروحـي بتُّ أفـهمُـهـا!

* * *

ورأيـتُـهـا فـي آخـر الـليـلِ
في فتيـةٍ نصبـوا لهـا شـركـا
يعلو سنـاهـا الحـزنُ كـالـظل
مسكـيـنـة تـتكـلّفُ الضـحـكـا

* * *

فمضيتُ تـوّاً، قلت: سيـدتي!
زنـتِ الـمـراقص أيّما زيـنِ!
هـل تـأذنين الآن سـاحـرتي
تـأكيـدَ اعجـابـي بكـأسـين؟

* * *

فـتمنّـعـت وأنـا ألـحّ سـدىً
بـالـقـول أغـريـهـا وأعـتـذر

فاستدركتْ. قالت: أراك غداً
ان شئتَ. اني اليوم أعتذر

* * *

وتحوَّلت عني لرفقتها
ما بين منتظرٍ ومرتقبِ
فتّانة تغري ببسمتِها
وتحدّدُ الميعادَ في أدبِ

* * *

حان اللقاءُ بغادتي وأنا
أخشى سراباً خادعاً منها
متلهفاً أستبطىءُ الزمنا
وأظل أسأل ساعتي عنها

* * *

وأجيل عينَ الريب ملتفتاً
متطلعاً للباب حيرانا
وأقول: ما يدريك أي فتى
هي في ذراعيْ حبه الآنا!

* * *

مَنْ ذا يُصدّقُ وعدَ فاتنة
لا ترحمُ الأرواحَ إتلافا
أنثى تلاقي كل آونةٍ
رُجلاً وترمي الوعدَ آلافا

* * *

وهممتُ بعد اليأسِ أن أمضي
فاذا بها تختالُ عن بُعدِ
ميّزتها بشبابها الغضِّ
وبقدِّها، أُفديه من قدِّ!

* * *

يـا لـلقلوب لـمـلتـقى اثـنـيـن
لا يـعـلمـان لأيّـمـا سَبَـبِ
جمعتهـمـا الـدنيـا غـريـبيـن
فـتـآلـفـا فـي خـلوةٍ عَـجَـبِ

* * *

عجبـاً لـقلب كـان مـطمـعـه
طَـرَبـاً فجـاء الأمـرُ بـالعكس
وأشـدّ مـا في الكـون أجمعه
بـين الـقـلوب أواصـرُ الـبـؤس

* * *

مَن أنت يـا مَن روحُها اقـتـربت
مني وخـاطـب دمعُـهـا روحي
صبّتـه في كـأسي! ومـا سكبتْ
فيـه سـوى أنّـات مـذبـوحِ

* * *

عجبـاً لنـا! في لحـظةٍ صـرنـا
متفـاهـمين بغيـر مـا أمـدِ!
يـا مَن لقيتُـك أمس! هـل كنـا
روحين ممتـزجين في الأبـدِ؟!

* * *

هـاتي حديثَ السقمِ والـوصب
وصِفي حَـقـارةَ هـذه الـدنيـا
انـي رأيتُ أسـاكِ عـن كـثـب
ولمستُ كـربَـكِ نـابضـاً حيَّـا

* * *

لا تكتمي في الصـدرِ أسـرارا
وتـحـدثي كـيف الأسى شـاءَ

أنـا لا أرى إثـمـاً ولا عـارا
لـكـن أرى امـرأةً وبـأسـا

* * *

تجـديـن فكـرَك جـدّ مبتعـد
والنـاس نحـو سنـاك دانـونـا
وتـريْن حـالـك حـالَ منفـرد
والـقـومُ كـثـرٌ لا يُـعـدّونـا!

* * *

وتـريـن أنـكِ حيثمـا كُنـتِ
تـرضـيـن خـوّانـيـن أنـذالا!
يـبغـونـه جسـداً فـإن بعـتِ
بـذلوا النضـار وأجزلـوا المـالا!

* * *

يـا حـرَّهـا من عبـرةٍ سـالتْ
مِن فـاتـكِ العينين مـكحـولِ
وعـذابهـا من وحشـة طـالتْ
وحـنيـن مجهـولٍ لمـجهـولِ

* * *

أفـنيـتِ عـمـرَك فـي تـطلبـه
ويكـادُ يـأكـلُ روحَـكِ الملَلُ
فـإذا بـدا مَـنْ تعـجبيـن بـه
وتقول روحُك: هـا هو الأمـلُ!

* * *

أدميـتِ قـلبَـك فـي تـقـرّبـهِ
والقلبُ إن يـخلص يَـهُنْ دمُـهُ
فـإذا حسبتِ بـأن ظفـرتِ بـهِ
فـازت بـه من ليس تـفهـمُـهُ

* * *

سكتت وقد عجبت لخلوتنا
طالتْ كأنّا جدّ عشاق
وأقول: يا طرباً لنشوتنا
صرعى المدامة والجوى الساقي!

* * *

أفديكِ باكيةً وجازعةً
قد لفّها في ثوبهِ الغسقُ
ودعتُها شمساً مودّعة
ذهبت وعندي الجرحُ والشفقُ

* * *

تمضي، وتجهلُ كيف أكبرها
إذ تختفي في حالك الظلم
روحاً إذا أثمت يطهرها
ناران: نارُ الصبرِ والألَمِ!

* * *